

## الحرف والصناعات المتعلقة بالثروة الزراعية والحيوانية في بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية

الباحث: رشاد نواف أحمد وادي

أ. د. عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي

جامعة سامراء - كلية التربية

### الملخص

تعد الحرف الصناعات التقليدية مظهراً من مظاهر الحضارة لكل بلد، وسيلتها الأولى للتعبير عن ثقافة وأصالة المجتمع، وقد انبثقت الصناعات التقليدية من البيئة المحلية وارتبطت بها ارتباطاً وثيقاً، واتخذت حرفة ومصدراً للعيش لكثير من أفراد المجتمع، ولكل من هذه الصناعات جمالها وقيمتها الإنسانية قبل قيمتها المادية، فهي إرث حضاري رائع وهي وسيلة توثيق لجزء من تاريخ بلاد الشام.

عملت الدولة العربية الإسلامية في دعم الثروة الزراعية الى جانب الثروة الحيوانية، ادى ذلك الى قيام حرف وصناعات غذائية واستخراجية وتحويلية لاسيما قبل بدء الحملات الصليبية على الشرق، افادت هذه الحرف والصناعات سكان بلاد الشام في حياتهم كمصدر غذاء وفرص عمل لهم، فضلاً عن التجارة الداخلية والخارجية.

الكلمات المفتاحية: حرف، صناعة، بلاد الشام، حروب صليبية.



## Professional and Industries Related to Agricultural and Animal Wealth in the Levant before the Crusades

Researcher: Rashad Nawaf Ahmed Wadi  
Prof Dr. Abdulbasit Mustafa Majeed al-Rifai

University of Samarra- College of Education

### Abstract

Traditional industries Professional is a manifestation of civilization for each country, the first vehicle to express concern of the international community and culture, and traditional industries grew out of local environment closely associated, And taken the craft and a source of livelihood for many members of society, and each of these industries and value of the beauty of humanity before the material value, they are great and civilized heritage are way closer to part of the history of Levant.

Islamic Arabic State worked in supporting agricultural wealth along with livestock, that led to the Professional and food industries and extractive and manufacturing, especially before the start of the Crusades to the East, These crafts and industries have benefited the people of Levant their lives as a source of food and employment opportunities, as well as domestic and foreign trade.

**Keywords:** Professional, industry, Levant, Crusader Wars.

### المقدمة

بلاد الشام بلد زراعي من الدرجة الأولى، فساعدت الزراعة على قيام حرف وصناعات كثيرة لها علاقة بالنشاط الزراعي اقتصت بها المدن الشامية، الى وكان لبلاد الشام مقومات هذا النشاط نتيجة لطبيعة أراضيها، ووجود المواد الأولية اللازمة لهذه الصناعات مع وجود أيدي عاملة ماهرة ساهم ذلك في قيام حرف وصناعات غذائية متقدمة، فضلاً عن خصوبة الارض التي تتمتع بها بلاد الشام، والمناخ المتنوع، مع كثرة الأنهار فيها، مع انتشار الغابات بكثرة في بلاد الشام، ولاسيما في المناطق الجبلية، فأسهم ذلك في قيام صناعات خشبية؛ منها صناعة الاسلحة، وصناعة السفن، والابواب، والنوافذ، ومختلف صناعة الادوات والآلات التي تستخدم في الزراعة.

الى جانب الزراعة توافرت الثروة الحيوانية التي تم الاعتماد عليها؛ في صناعة الالبان والصناعات النسيجية، والصوفية، والجلدية، وصيد الاسماك، مكنت هذه الصناعات بلاد الشام من سد حاجتها للاستهلاك وجعلتها تصدره لباقي المناطق العربية المجاورة، فضلاً عن البلاد الأخرى.

قسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية:

أولاً: تعريف الحرفة لغة واصطلاحاً.

ثانياً: طبيعة بلاد الشام الجغرافية.

ثالثاً: الحرف والصناعات المتعلقة بالثروة الزراعية والحيوانية في بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية.



### أولاً: تعريف الحرفة والصناعة لغة واصطلاحاً:

#### الحرفة في اللغة:

هي اسم من الاحتراف، ويعني الاكتساب، ويقال: هو يحرف لعياله ويحترف، بمعنى يكتسب<sup>(١)</sup>، وقيل الحرفة هي الصناعة، أو الطعمة، والمحترف هو الصانع<sup>(٢)</sup>، وفلان حرفي، أي معاملي، وحرفة الرجل صنعته، وحرف لأهله واحترف بمعنى كسب<sup>(٣)</sup>.

#### الحرفة في الاصطلاح:

هي الطعمة، والصناعة التي يُرتزق منها، وهي جهة الكسب، وكل ما اشتغل به الانسان فانه يسمّى عند العرب صنعة، وحرفة، وقد روي عن علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) أنّه قال: ((إنّي لأرى الرجل فيعجبني فأقول: هل له حرفة؟ إن قالوا: لا سقط من عيني))<sup>(٤)</sup>.

#### الصناعة في اللغة:

هي حرفة الصانع، وعمله<sup>(٥)</sup>، ورجل صنيع اليدين، وصنّع اليدين، أي: صانع حاذق يعمل اليدين، وامرأة صنّاع اليدين، أي: حاذقة ماهرة بعمل اليدين، وامرأتان صنّاعتان، ونسوة صنّع، والجمع صنّاع<sup>(٦)</sup>.

#### الصناعة اصطلاحاً:

هي عمل يدوي يقوم الصانع في صنعته، ويكون ممّا يغير في ذات المصنوع، مثل الحدادة، والنجارة، وفي هذه وأمثالها يسمّى المصنوع باسم غير اسم مادته<sup>(٧)</sup>، وعماد الصانع على يديه، يستعملها في صنع الاشياء، ويعتمد على نكائه في تحويل الأشياء إلى أشياء أخرى، وهي محور الإنتاج في الحياة الاقتصادية<sup>(٨)</sup>.

اذن فالحرفة تعني الاكتساب، والعمل لطلب الكسب، بينما الصنع إجادة الفعل إجادة تامّة، إذ يكون الممتهن لصناعة ما ملماً بها، وعالماً بأسرارها، ودقائقها بتفصيلها، وقديماً كان الصنّاع يحترفون مهنتهم احتكاراً تاماً لكي يحافظوا عليها من الضياع ويعلموها لأولادهم<sup>(٩)</sup>، فهي متوارثة يتعلمها الابناء من الآباء، والاجداد، ويستدل على هذا من النص التالي: ((إعلم أنّ هذه الصنّاع استخرجها العلماء بحكمتها ثمّ تعلمها الناس منهم، وبعضهم عن بعض، وصارت وراثّة))<sup>(١٠)</sup>.

حقيقة الأمر أنّ قسماً من العرب قبل الاسلام اعتبروا ان الحرفة او الصنعة من الأمور المستهجنة، فلا يليق بالعربي الحر أن يكون صانعاً، لأنّ الصناعة من حرف العبيد، والخدم، والاعاجم، والمستضعفين من الناس، فضلاً عن أنّ العربي كان يرى في الحرفة ما تقيده وتحذ من حركته، فمن المعروف أنّ العرب كانوا يفتخرون بالفروسية، وكانوا منشغلين بالحروب، إذ كانوا

يرون بأنَّ الرزق يجب أن يؤخذ بقوة السيف، وقيل أيضاً أنَّهم إذا أرادوا تحقير إنسان وسبّه بكلمة جارحة قالوا له يا ابن الصانع<sup>(١١)</sup>، وذكر (ابن منظور) شعراً لأمية بن خلف<sup>(١٢)</sup> يهجو فيه حسان بن ثابت<sup>(١٣)</sup>، إذ يقول:

أليس أبوك فينا كان قيناً      لدى القينات، فسلاً في الحفاظ  
يمانياً يظلُّ يشدُّ كبيراً      وينفخُ دائياً لهبَ الشواظ<sup>(١٤)</sup>

وعندما جاء الاسلام غيّر من نظرة العرب إلى العمل والصناعة، إذ رفع الاسلام من شأن العمل وجعله من العبادة، وجاء نكره في القرآن الكريم يؤكّد على أنه شرط أساس من شروط الرزق بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١٥)</sup>، كما وحثّ الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) على العمل والصناعة لكسب الرزق، والاكل من عمل اليدين بقوله: ((إنَّ أطيب ما أكلتم من كسبكم وان داوود (عليه السلام) كان يأكل من عمل يديه))<sup>(١٦)</sup>.

#### ثانياً: طبيعة بلاد الشام الجغرافية :

بلاد الشام<sup>(١٧)</sup> من المناطق القليلة في العالم التي تشتمل على تعدد الاقاليم وتنوع المناخ، ففي الجزء الشمالي تقع الجبال المرتفعة القريبة من المناطق الباردة<sup>(١٨)</sup>، وتجاورها السهول الواقعة في حوض نهر العاصي<sup>(١٩)</sup>، ونهر فويق<sup>(٢٠)</sup>، ونهر بردى<sup>(٢١)</sup>، حتى جنوب شرق الشام<sup>(٢٢)</sup>، ففي الجنوب تحدّها سهول فلسطين وحوارن التي اشتهرت بزراعة الحبوب واشجار الفاكهة، وسهول الشرق تحدها العراق، وهذه السهول اشتهرت بزراعة المحاصيل التي تحتاج الى المياه والحرارة، وبفضل تنوع التضاريس في بلاد الشام، وتوافر عامل المياه الصالحة للري من الانهار والبحيرات والينابيع وُجِدَت في بلاد الشام أنواع كثيرة جداً من المحاصيل الزراعية التي تنتج فيها بكميات وافرة<sup>(٢٣)</sup>.

ويصف (المقدسي) بلاد الشام بالقول بأنّها ((اقليم متوسط الهواء ... بلد الحر، والنيل، والموز، والنخيل)) واستطرد قائلاً: ((... يمتدّ الى الحجاز<sup>(٢٤)</sup> ثم يخرج الى اليمامة<sup>(٢٥)</sup> ثم عُمان<sup>(٢٦)</sup> وهجر<sup>(٢٧)</sup> ... ثم يصعد الى ميسرة الموصل ... وهو وادي الحرّ والنخيل))<sup>(٢٨)</sup>.

أمّا بالنسبة للأساليب الزراعية التي عرفتھا بلاد الشام، والتي كانت تهدف الى رفع كمية المحصول الزراعي، وزيادة الانتاج، هي عن تبوير الارض<sup>(٢٩)</sup>، وبهذا الصدد يورد (النويري) ((فإن عادتھم بسائر بلاد الشام ان كل فلاح يقسم الأراضي التي بيده شطرين، فيزرع شطرا، ويريح شطرا، ويتعاهده بالحرث لتقرع الشمس باطن الأرض، ثم يزرعه في العام القادم ويريح



الشرط الذي كان به الزرع ((<sup>(٣٠)</sup>) ولا يزال هذا الاسلوب متبعاً في كثير من مناطق بلاد الشام التي تعتمد في زراعتها على مياه الامطار(<sup>(٣١)</sup>) .

ثالثاً: الحرف والصناعات المتعلقة بالثروة النباتية والحيوانية في بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية:

بعد استعراض الطبيعة المناخية لبلاد الشام والاساليب المتبعة في الزراعة لابد من استعراض أهم الحرف والصناعات الغذائية التي كانت سائدة في بلاد الشام قبيل بدء الحروب الصليبية(<sup>(٣٢)</sup>) وأهمها:

#### ١ - صناعة السكر:

بالنسبة لكلمة السكر، فإنها كلمة مأخوذة من الكلمة السنسكريتية(<sup>(٣٣)</sup>) Sakkara أو Sarkrra وتعني الرمل الحلو(<sup>(٣٤)</sup>)، وتعرف عند العرب؛ القند(<sup>(٣٥)</sup>)، والسكر، وسمي قصب المِضار(<sup>(٣٦)</sup>)؛ لأنه يُمضغ بالفم فيبلع ماؤه (<sup>(٣٧)</sup>) .

أمّا بالنسبة لصناعة السكر فإنها تمر بعدة مراحل، تبدأ بنقل القصب من حقول زراعته الى مكان مصنع السكر المبني بالطوب(<sup>(٣٨)</sup>)، ويكون المعمل على هيئة مستطيل الطول، طوله أربعون متراً، وعرضه عشرون متراً، ويوجد خلف جدرانه الى الداخل، مختلف اجزاء المصنع، وعند احد اطراف هذا الفناء يوجد الباب الخارجي، ويدخل منه الى فناء صغير، وعند نهايته يوجد مخزن يودّع فيه مواد القصب بعد احضاره من الحقول، وتُقشر الاوراق عن القصب، بعد ذلك تُنقل الى مكان آخر ينقسم الى قسمين متساويين بواسطة جدار، ويضم كل قسم آلة او معصرة تستخدم في استخراج العصير من الاعواد، وهذه الآلة عبارة عن اسطوانتين من الخشب مثبتتين تدوران بشكل معاكس بقوة سحب ثور مربوط بالآلة يدور حولها(<sup>(٣٩)</sup>) .

ومعرفة العرب بالسكر تعود الى جهود طويلة، ويذكر أنّ قصب السكر جاء من الشرق، اذ أخذ العرب من الصين زراعة قصب السكر واستخراج السكر منه، ونقلوها الى مصر، والاندلس(<sup>(٤٠)</sup>)، في حين يرجح بعض الباحثين أنّ قصب السكر عُرف أولاً في بلاد الهند، ومن الهند انتقلت زراعته الى الصين(<sup>(٤١)</sup>)، ومن هذه البلاد الى بلاد فارس، والبلدان العربية، ومنها انتقلت زراعته وصناعته الى أوروبا(<sup>(٤٢)</sup>) .

واهل بلاد الشام قد عرفوا قصب السكر منذ وقت مبكر، وأهم مناطق زراعته في منطقة الغور(<sup>(٤٣)</sup>)، والمناطق الساحلية(<sup>(٤٤)</sup>)، ويذكر (المقدسي) انّ أهل الغور وطبرية(<sup>(٤٥)</sup>) كانوا يمصون قصب السكر ويخوضون الوحل من شدة الحر(<sup>(٤٦)</sup>)، ويذكر ذلك (ياقوت الحموي): (( أنّ السكر

أكثر ما يستعمله أهل الغور، ومنها يصدر الى بلاد الشرق))<sup>(٤٧)</sup> لذلك يمكن القول أن السواحل الشامية، وراضي الغور في منطقة الاردن كانت مهمة جداً في زراعة قصب السكر، وفي صناعته، ونتاجه، وتصديره<sup>(٤٨)</sup>، ويرى في اراضي الغور، آثاراً واضحة لمعاصر السكر الكبيرة، كما أن أسماء المناطق هناك لازالت تحمل أسماء زراعة السكر مثل تل السكر، ووادي السكر، وهذا يعطي الدليل الأكيد على زراعته واستخراجه في هذه المناطق<sup>(٤٩)</sup>.

ونظراً لكلفة البناء، وغلاء الاسعار في بلاد الشام كان الفاطميون<sup>(٥٠)</sup> هم من يقومون بإنشاء مصانع السكر التي كانت تكلف آلاف الدنانير، لذا كانت الحكومة تقوم بإنشائها، وكان يشتغل فيها عدد كبير من العمال<sup>(٥١)</sup>، فبعد أن تتم عملية صنع وتكرير السكر يتم تصدير نصف الانتاج الى مصر، والعراق، وغيرهما<sup>(٥٢)</sup>، كما كان السكر يُصدّر الى الاقاليم الشرقية من العالم الاسلامي، من النوع الذي كان يصنع في منطقة الغور ويشير (ياقوت الحموي) الى كثرته هناك، وتصديره الى سائر بلاد المشرق<sup>(٥٣)</sup>، كما كان السكر الشامي يُصدّر خارج بلاد الشام، وكان يصنع السكر بجميع أشكاله بشكل رقائق، أو ناعم دقيق، أو بشكل حلو<sup>(٥٤)</sup>.

ولاققت صناعة السكر أهمية كبرى، وخاصة من قبل الحكومات المتعاقبة في الشام في القرنين (الخامس والسادس الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) لأنها تقارب المعادن الثمينة، لذا كانت الدولة تحتكر صناعة السكر؛ لأنّ إمكانيات انشاء وتشغيل مصانعه تفوق إمكانيات الافراد، إذ إنّ صناعة السكر تتطلب الأيدي العاملة، والأموال، والطاقة<sup>(٥٥)</sup>، ونظراً لأهمية هذه الصناعة يضيف (النويري) قائلاً: ((وعمدة المباشر في الاعتصار ضبط ما يتحصّل، وحراسته من السارق والخائن والمفترط، ويلزم مباشر الاعتصار أن ينظم في كل يوم وليلة مخزونه بما اعتصر وبما تحصّل))<sup>(٥٦)</sup>، وهذا يدل على أهمية هذه الصناعة، ومكانتها.

## ٢- صناعة زيت الزيتون:

تعد صناعة زيت الزيتون من الصناعات الغذائية الهامة التي اشتهرت بها بلاد الشام، ويعود ذلك؛ لكثرة أشجار الزيتون، التي كانت تستخرج منها الزيت بعدما يتم عصره بمعاصر خاصة، يعود أقدمها إلى زمن عيسى (عليه السلام)<sup>(٥٧)</sup>، واشتهرت مدينة حلب بصناعة الزيت، إذ كان يضرب به المثل في الصفاء والنظافة<sup>(٥٨)</sup>، أمّا دمشق فكانت معاصر الزيت فيها قليلة جداً، ويشير (ابن عساكر) الى وجود معصرتين للزيت فقط<sup>(٥٩)</sup>.

يتم تصنيع الزيت بعدما يسحق الزيتون بأسطوانة من حجر يديرها بغل بعد ان يوضع الزيتون داخل وعاء من حجر مستدير الشكل، ومن ثم يكبس الزيتون المسحوق لينفصل الزيت عن الماء، والشوائب العالقة به، وبعد ذلك يترك العصير يستقر فيطفو الزيت على وجه



العصير<sup>(٦٠)</sup>، وما يتبقى منه يسحق ويكبس فيخرج منه زيت أسود يسمى زيت الجفت يدخل هذا الزيت في صناعة الصابون<sup>(٦١)</sup> .

### ٣ - صناعة الألبان ومشتقاتها:

احتلت تربية المواشي أهمية كبيرة في بلاد الشام نظراً للإفادة العديدة من لحومها، وألبانها، وجلودها، وجاء الاهتمام بالثروة الحيوانية نظراً لما تقدمه للسكان من السمن والقشدة، والجبن<sup>(٦٢)</sup>، فضلاً عن صناعة الكشك<sup>(٦٣)</sup>، فقد كان يُعمل من جريش الحنطة، واللبن ويترك أياماً حتى يختمر ويجفف في الشمس ويعمل كالحساء، ويتم طبخه باللحم، والزيت<sup>(٦٤)</sup>، ويعد الكشك الوجبة الرئيسة لطعام الفلاحين، ولا سيما في فصل الشتاء البارد، إذ قالوا فيه:

الكشك شيءٌ حَبِيبٌ      مُحَرِّكٌ للسواكِنُ  
الأصلُ دَرٌّ وُبُرٌّ      نَعَمَ الجُدُودُ ولكنْ<sup>(٦٥)</sup>

وفي السمن أهمية خاصة، وذلك؛ لأنه المادة الرئيسة التي يطبخ بها الشاميون، وكان السمن يُصنع بمخض اللبن، والمخض يصنع من جلود الحيوانات ويلف بحبلين بشده الى أعمدة خشبية، ويتطلب المخض الى أكثر من ساعتين، فيلتصق السمن بداخل المخض فيستخلصه بعد تفريغ اللبن، وكان لكل خمسة وعشرين رطلاً<sup>(٦٦)</sup> من اللبن ينتج رطلاً من السمن<sup>(٦٧)</sup> .

كما اشتهرت بلاد الشام بصناعة الجبن الأبيض، وذاعت شهرة الجبن، الحموي، والبعلبكي، وكذلك القشدة التي كانوا يُصنعونها بوضع اللبن في أواني واسعة، ويترك من المساء حتى الصباح، ثم تعزل القشدة عن الحليب وتستخدم في الطعام، كما تدخل في صناعة بعض الحلوى<sup>(٦٨)</sup> .

### ٤ - حرفة صيد الأسماك:

كانت منطقة بلاد الشام غنية بهذه الثروة، والتي كانت توجد بشكل كبير في البحيرات، والأنهار<sup>(٦٩)</sup>، وكانت حرفة صيد الأسماك لها أهمية خاصة في بلاد الشام؛ وذلك لأن السمك يدخل ضمن المواد الغذائية لسكان بلاد الشام؛ ولذلك عمل اصحاب العُروك<sup>(٧٠)</sup> بهذه الحرفة، وتاجروا بها لأنها تدرُّ أرباحاً طائلة، ويذكر(العمرى) عن مكان تواجد الأسماك في البحيرات، كبحيرة دمشق، وبحيرة حمص، ومن الأنهار؛ بردى، والعاصي، وقويق، ويصف قوله: ((وأقبل الناس على هذه الجهات جميعاً يُخرجون من مائها لحماً طرياً))<sup>(٧١)</sup> .

ووجدت في مياه بلاد الشام أنواع كثيرة من الاسماك، في البحر والنهر، مثل ثعبان الماء<sup>(٧٢)</sup>، والترسة التي يصفها ( ابن اللباد البغدادي) بقوله: ((...وتسمى لَجَاة وهي سلحفاة



عظيمة ... إلا أن جفنتها - أعني عظم ظهرها - كالترس له أفايز خارجة عن جسمها نحو شبر، ورأيتها ... يُقطع لحمها ويباع ك لحم البقر))<sup>(٧٣)</sup> .

#### ٥- صناعة الملابس والمنسوجات:

اشتهرت بلاد الشام بصناعة النسيج منذ القدم، وتقن الصنَّاع في عملهم، وأصبحت دمشق من أول المدن في صناعة الملابس، والمنسوجات<sup>(٧٤)</sup> .

وصناعة النسيج، هي مجموعة من الأعمال المتكاملة تبدأ بتحضير المادة الأولية من الحرير، أو الصوف، أو القطن، التي يتم غزلها بواسطة الفتل باليد، أو بواسطة دواليب من الخشب<sup>(٧٥)</sup>، ويأتي دور الحائك ليتسلمها الدقاق<sup>(٧٦)</sup>، وبعدها يتسلمها القصار<sup>(٧٧)</sup>، ثمَّ يحوّل القصار النسيج الى المكبس<sup>(٧٨)</sup>، وبذلك تصبح جاهزة للعرض، والتجارة، وتشمل صناعة النسيج على صناعة الحرير، والصوف، والقطن، والكتَّان<sup>(٧٩)</sup> .

اشتهرت بلاد الشام على مرّ العصور الاسلامية بهذه الصناعة، واهتم سكان بلاد الشام بتربية دودة الحرير (القرز) وبرعوا في صناعة الحرير ولا سيما أهل دمشق، وحلب<sup>(٨٠)</sup> .

كانت المنتجات المنسوجة ثمينة جداً، إذ أنّ امتلاك قطعة من القماش الجيد كان يعد رصيلاً استثمارياً جيداً، إذ كانت بلاد الشام تمتلك دائماً كمية كبيرة من المنسوجات للإفادة منها في أثناء الازمات، والحاجة الى الأموال، إذ تقوم ببيعها وتأمين ما تحتاجه من الأموال كما حدث في العهد الفاطمي عندما حلت مجاعة كبرى، إذ قامت الدولة ببيع حوالي ثمانين الف قطعة من القماش لإعالة البلاد<sup>(٨١)</sup> .

نالت المنسوجات الدمشقية شهرة واسعة قبيل الحروب الصليبية، وكان حرير دمشق معروفاً بجودته، وكان يقدر بأسعار عالية في أوربا<sup>(٨٢)</sup>، كما واشتهرت بلاد الشام بصنع الشفق<sup>(٨٣)</sup> الحريرية، والقطنية، التي تحاك على الطراز العربي، وصناعتها غاية في الدقة، والمتانة، والجمال، وكانت تصدّر الى مناطق متعددة مثل؛ الأناضول<sup>(٨٤)</sup>، ومصر، والحجاز، والعراق، وكان المتاجرون في هذه الحرفة من أغنى التجار<sup>(٨٥)</sup> .

واشتهرت بلاد الشام ولاسيما حلب بصناعة أجود أنواع الاقمشة، ومنها قماش الأطلس<sup>(٨٦)</sup> على اختلاف ألوانه<sup>(٨٧)</sup>، ويؤكد (البدرى) ذلك قوله: ((ومن محاسن الشام ما يصنع من القماش، والنسيج على تعداد نقوشه، وضروبه، ورسومه، ومنها عمل القماش الاطلس بكل اجناسه، وأنواعه، ومنها عمل القماش ... على اختلاف اشكاله، وتباين أوصاله، ومنها عمل القماش الأبيض القطني المصور لأحياء القصور، وأموات القبور))<sup>(٨٨)</sup> .

## ٦- جمع الصوف وغزله:

يعد الصوف مادة مهمة وأساس في عملية صنع البسط، والسجاد، ويعد الصوف الخشن من أكثر أنواع الصوف ملائمة لصنع السجاد، أمّا الصوف الناعم فإنّه يصلح لصنع الملابس والأنسجة الناعمة<sup>(٨٩)</sup>.

وتمر عملية تحضير الصوف بعدة مراحل حتى تصبح جاهزة للاستعمال، فالمرحلة الأولى يتم جز الصوف من الأغنام، ويقوم بهذه العملية شخص ذو خبرة في هذا المجال، ويستخدم في ذلك مقص أو مشطاً خاصاً، ثمّ تجمع كميات الصوف، ويتم غسله بالمياه كي يتخلص من الأتربة، والشوائب العالقة به، ويتم غسلها عدّة مرات بالماء مع إضافة المنظفات لها حتى تتظف تماماً، ومن ثمّ يتم تحفيها بالشمس، وبعد ذلك يتم نقلها الى المصانع لتتم عملية الغزل<sup>(٩٠)</sup>، فقد شاع صناعة المَشَدَّات المسمّاة الكَمَّار<sup>(٩١)</sup>، وكانت تُنسج من الصوف، وتشد على الخصور، كما ويصنع من قماش الشاش الخاص بالعمائم والوشحة<sup>(٩٢)</sup>، وكان جميع أهالي الشام الغني والفقير يقوم بغزل الصوف من الرجال والنساء على حدّ سواء<sup>(٩٣)</sup>.

وشاعت أيضاً صناعة الخيام التي كانوا يستخدموها في معسكرات الجيش<sup>(٩٤)</sup>، وعرفوا صناعة البسط والسجاد، واكتسبت هذه الصناعة شهرة واسعة<sup>(٩٥)</sup>، كما واشتهرت في بلاد الشام صناعة الانسجة الكتّانية، المستوردة مادتها الخام من مصر<sup>(٩٦)</sup>.

## ٧- الصبغة:

كان العرب يفضلون الملابس الملونة، لذا كان للصبغة أهمية كبيرة، فالرجل العربي كان يفضل من الألوان؛ الأخضر، والأحمر، والأصفر الفاقع، والخطوط المقلمة، والمموجة، لأنها تضيف للملابس التألّق، ولم تقتصر الصبغة على الملابس فقط، بل شمل ذلك السجاد، والأسرة، والستائر، وكان سعر التلوين وأجور الصبغة تكلف غالياً، بالنسبة لسعر القماش<sup>(٩٧)</sup>، وكانت هذه الألوان تتركب من المحاصيل الزراعية، مثل؛ الزعفران، والسّمّاق<sup>(٩٨)</sup>، والأرجوان<sup>(٩٩)</sup>، وغيرهما، كما استعمل في صنع لباس الفلاحين والعمال اللون النيلي<sup>(١٠٠)</sup>، وهذا دليل على وجود التنظيم الحرفي بحيث أنّ لكل طائفة من الحرف لون لبسها الخاص.

ومن الجدير بالذكر أنّ أكثر الصباغين في بلاد الشام هم من اليهود، إذ يورد (ابن العبري) أنّه لم يرتفع في العالم الاسلامي يهودي الى أكثر من كونه دبّاعاً، أو صباغاً<sup>(١٠١)</sup>.

## ٨- الصناعات الجلدية:

كانت هذه الصناعة على جانب كبير من الأهمية لاحتياج منتجاتها؛ كالأحذية، والسروج<sup>(١٠٢)</sup>، والقرب<sup>(١٠٣)</sup>، والأحزمة<sup>(١٠٤)</sup>، وإن سبب توافر المادة الأولية لوجود أعداد كبيرة من

الماشية مع توافر المراعي ساعد ذلك على قيام هذه الصناعة، والتي لاقَت اهتماماً كبيراً من قبل السلطة الحاكمة على مر العصور المختلفة، فقد كانت مرتبة غاية الترتيب فكان هناك سوق مختص بصناعة الأحذية يسمى سوق الحذائين، وأصحاب هذا السوق هم مختصون بصناعة الجديد فقط، ويُمنعون من اصلاح الأحذية القديمة<sup>(١٠٥)</sup>؛ لأنها من اختصاص سوق الاسكافيين<sup>(١٠٦)</sup>، ويحرم عليهم صناعة أحذية جديدة<sup>(١٠٧)</sup>.

كما اشتهرت صناعة السروج التي كانت توضع على ظهور الخيول، وكان يلحق بهذه الصناعة دباغة الجلود التي أقيمت صناعتها على ضفاف الأنهار، لتوافر عامل الماء، وكان في حلب سوق خاص بهذه المهنة، ومعروف باسم (سوق السراجين)<sup>(١٠٨)</sup>.

وعُرفت بلاد الشام بصناعة الخف بكل أنواعه، ومنه ما يستعمله الفلاحون وعرب البادية، والمعروف بالجزمة الصفراء ذات الساق<sup>(١٠٩)</sup>، ثم تطورت صناعة الخف بصنع خف للصيف يختلف عن خف الشتاء، فخف الشتاء يصنع من جلد أصفر، أمّا خف الصيف فيصنع من جلد أبيض<sup>(١١٠)</sup>.

#### ٩ - الصناعات الخشبية:

إن ازدهار الصناعات الخشبية في بلاد الشام يعود الى انتشار الغابات الكبيرة فيها، مما ساهم في قيام صناعة خشبية متطورة من أجود أنواع الاخشاب لصناعة الكراسي، والمناضد، والابواب، وأثاث المنزل، والسقوف الخشبية، والآلات المختلفة، وكان النجارون ماهرون في هذه الصنعة، إذ كانوا يزينون الأخشاب بنقوش جميلة لإعطائها المظهر الجذاب، ولاسيما إذا كانت من خشب الساج<sup>(١١١)</sup>، وفي القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) استخدمت الأخشاب في صنع الكؤوس الخشبية، كذلك في سقوف المساجد، والكنائس، والقصور، والقباب، والدور، وعمل الأبواب، والنوافذ، وقد رُممت قبة الصخرة ودُعمت بالخشب، فقد كانت تحتوي على قبتين داخلية وأخرى خارجية<sup>(١١٢)</sup>.

وتم صنع بعض الآلات الموسيقية من الخشب، وصنعت أيضاً أدوات الحرب؛ كالأقواس، والسهام، وقضبان الرماح، وأدوات الحصار؛ كالمجنيق، كما ساهم النجارون في صناعة السفن، والقوارب، ولاقَت اهتماماً على مر المراحل من قبل الدولة لحاجتها في الأمور العسكرية، والتجارية<sup>(١١٣)</sup>.

وامتازت الصناعات الخشبية في بلاد الشام بدقة الصنعة والانتقان والابتعاد عن تصوير الأحياء، وتضمنت أشكالاً نباتية ولاسيما على شكل أوراق العنب<sup>(١١٤)</sup>، وكانت تُطعم بالصدف،



وأنواع أخرى من الخشب يختلف لونه عن لون خشب المادة المصنوعة منها، مما كان يضيف عليها مسحة جمالية، ويعطيها قيمة فنية<sup>(١١٥)</sup>.

#### **١٠ - صناعة الحصير:**

اشتهرت بلاد الشام بصناعة الحصير التي كانت تصنع من مادة القصب، والبردي، وسعف النخيل<sup>(١١٦)</sup>، وكانت مدينة دمشق مشتهرة بهذه الصناعة، مع وفرة نبات السل<sup>(١١٧)</sup> الذي يجف ويصبح قطعة واحدة عند حلول فصل الصيف، و يجمع على شكل حزم، ويهياً أحياناً فتنقله الجمال الى دمشق، ويعمل منه الحصير<sup>(١١٨)</sup>، كما عرفت بلاد الشام وزرعت أنواع من النباتات؛ لعمل الحصير، والحبال، كنبات السامان الذي كان يزرع في منطقة الخليل وطبرية، واشتهرت ب(الحُصر الطبرانية)<sup>(١١٩)</sup>، ومن الجدير بالذكر هنا أنّ أهالي الشام كانوا يستخدمون الحصر لفرش المنازل، وفرش المساجد، وغيرها<sup>(١٢٠)</sup>.

### الخاتمة

- كان موقع بلاد الشام وطبيعة المناخ فيه وخصوبة ارضه السهلية ساهم في تنوع المحاصيل الزراعية، من الحبوب وأشجار الفاكهة المختلفة، فضلاً عن توافر عامل المياه الصالحة للري من الانهار والبحيرات والينابيع، ادت الى تنوع الاساليب الزراعية المتبعة في بلاد الشام، ساهمت في رفع كمية المحصول الزراعي، وزيادة الانتاج .
- تعود معرفة العرب بالسكر الى عهود طويلة، وبالنسبة لبلاد الشام فقد عرفوه منذ وقت مبكر، مما يعني ان لديهم خبرة طويلة في كيفية زراعة قصب السكر ومن ثم عملية تصنيعه لذا يعد سكر الشام من اجود انواع السكر في العالم آنذاك.
- نتيجة لكثرة أشجار الزيتون في بلاد الشام ان قامت صناعة زيت الزيتون وقد برع الشاميون في هذه الصناعة، اذا ان معرفتهم بهذه الصناعة تعود الى عهود طويلة منذ زمن عيسى (عليه السلام).
- ان تنوع الثروة الحيوانية في بلاد الشام ادى الى تنوع الصناعات المعتمدة عليها ولاقت الثروة الحيوانية الاهتمام الكبير نظراً لأنها تعد غذاء قيماً للسكان لذا ازدهرت صناعة الالبان والسمن والجبن والقشدة، وقد ضرب بها المثل من جودة صناعتها ومذاقها المميز.
- وجود انهار وبحيرات عديدة في بلاد الشام وفر وجود أنواع كثيرة من الاسماك، في البحر والنهر ساهم في قيام حرفة صيد الاسماك التي تعد ايضاً غذاء لسكان فضلاً عن الارباح الطائلة التي كانت تدر على اصحابها.
- اشتهرت بلاد الشام على مرّ العصور الاسلامية بصناعة المنسوجات والملابس، التي كانت تعتمد على توافر المواد الخام لها من القطن والكتان والصوف وقد اهتم سكان بلاد الشام بتربية دودة القز لصناعة الملابس الحريرية التي كانت من اجود انواع الاقمشة واغلاها سعراً لذا نالت شهرة واسعة وازداد الطلب عليها، وكان العرب يفضلون الملابس الملونة على البيضاء لذا قامت صناعة الصباغة وراجت بشكل كبير معتمدة على المحاصيل الزراعية، مثل؛ الزعفران، والسَّمَّاق والارجوان وغيرها.
- نظراً لوجود أعداد كبيرة من الماشية مع توافر المراعي ان ساعد ذلك على قيام صناعات جلدية متميزة، وقد لاقت هذه الصناعة اهتمام من الحكومات العربية في بلاد الشام وكانت مرتبة غاية الترتيب فكان هناك سوق مختص بصناعة جلدية مختلفة.
- ساهم وجود الغابات الكثيفة على قيام صناعة خشبية متطورة عدة من أجود أنواع الاخشاب، وكان النجارون ماهرون في هذه الصنعة، إذ كانوا يزینون الأخشاب بنقوش



**الباحث: رشاد نواف أحمد وادي**

**أ. د. عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي**

جميلة لإعطائها المظهر الجذاب، فصنعوا الكراسي، والمناضد، والابواب، وأثاث المنزل، والسقوف الخشبية، والآلات المختلفة، والآلات الموسيقية، كما صنعت أيضاً أدوات الحرب؛ كالأقواس، والسهام، وقضبان الرماح، وأدوات الحصار؛ كالمنجنيق وغيرها.

### هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغني عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

- (١) الأزهرى، محمد بن أحمد الأزهرى الهروي (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي (بيروت، ٢٠٠١م)، ج٥، ص١٣؛ ابن منظور، محمد بن مكرم الافريقي (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م): لسان العرب، دار صادر (بيروت، د.ت)، ج٨، ص٤١.
- (٢) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، ط٢، دار الهداية (الكويت، ٢٠٠٤م)، ج٢٣، ص١٣٣.
- (٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٤٤.
- (٤) الزبيدي، تاج العروس، ج٢٣، ص١٣٣؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٤، دار الساقى (بيروت، ٢٠٠١م)، ج١٤، ص١٩٣.
- (٥) الجوهرى، ابو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٩٠م)، ج٣، ص١٢٤٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٤٢؛ الخزاعي، علي بن محمد بن احمد (ت ٧٨٩هـ/١٣٨٧): تخرىج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الحرف، والصنائع، والعملات الشرعية، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٩٨٥م)، ص٧٩٤.
- (٦) الجوهرى، الصحاح، ج٣، ص١٢٤٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٤٥.
- (٧) اخوان الصفا: رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر (بيروت، د.ت)، ج١، ص٢٠٧.
- (٨) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج١٤، ص٢٣١.
- (٩) اخوان الصفا، الرسائل، ج١، ص٢٩١.
- (١٠) البدرى، ابو البقاء عبد الله بن محمد الدمشقي (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٨م): نزهة الانام في محاسن الشام، المطبعة السلفية (القاهرة، ١٩٢٣م)، ص٣٦٤.
- (١١) الصمد، واضح: الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (بيروت، ١٩٨١م)، ص١٥؛ سمس، عبد المعطي محمد: المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والاسلامية، العدد ٢٦ (جامعة بابل، ٢٠١٦م)، ص٧١.
- (١٢) أمية بن خلف بن وهب (ت ٢٤هـ/ ٦٢٤م) أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم، أدرك الاسلام، ولم يسلم: ينظر: المزي، ابو الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت ٧٤٢هـ/ ١٠٧٩م): تذهيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٩٨٠م)، ج١٣، ص١٨٠.
- (١٣) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الانصاري، أبو الوليد (ت ٥٤هـ/ ٦٧٤م) صحابي وشاعر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام: ينظر: ابن عبد البر، ابو يوسف



- بن عبد الله القرظي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل (بيروت، ١٩٩٢م)، ج ١، ص ١٠٠-١٠٢ .
- (١٤) لسان العرب، ج ٧، ص ٤٧٤ .
- (١٥) سورة الجمعة، الآية ١٠ .
- (١٦) ابن ماجه، ابو عبد الله محمد القزويني (ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م): السنن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية (بيروت، د. ت)، مج ٣، ص ٣٩٠ .
- (١٧) بلاد الشام: أصل التسمية ترجع إلى سام بن نوح (عليه السلام) وهي المنطقة الممتدة على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط، وتمتد شرقاً إلى نهر الفرات وتمتد شمالاً من بلاد الروم (تركيا) إلى حدود مصر وجزيرة العرب جنوباً، وتشتمل على سورية ولبنان وفلسطين والاردن: ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٨٢٨م): معجم البلدان، دار الفكر (بيروت، د. ت)، ج ٣، ص ٣١١؛ عبد السلام، عادل: جغرافية سورية الاقليمية، منشورات جامعة تشرين (دمشق، ٢٠٠٤م)، ص ١٩-٢٠ .
- (١٨) كرد علي: خطط الشام، المطبعة الحديثة (دمشق، ١٩٢٥م)، ج ٤، ص ١٠٥ .
- (١٩) نهر العاصي: يمر في حلب ثم على سور مدينة انطاكية ثم يتجه جنوباً حتى يصب في البحر الابيض المتوسط عند منطقة السويدية: ينظر: ناصر خسرو، ابو معين الدين الحكيم المروزي (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م): سفر نامة، تحقيق: يحيى الخشاب، ط ٣، دار الكتاب الجديد (بيروت، ١٩٨٣م)، ص ٤٦؛ القلقشندي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الاعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية العامة (القاهرة، ١٩٨٧م)، ج ٤، ص ٨٠ .
- (٢٠) نهر قويق: بضم أوله، وفتح ثانيه، ينبع من جنوب بلاد الروم ويدخل مدينة حلب: ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١٧؛ ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والنباع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة (بيروت، ١٩٥٤م)، ج ٣، ص ١١٣٥ .
- (٢١) نهر بَرْدَى: بفتح حروفها كلها، نهر في دمشق، ينبع من شمال غرب دمشق عند كورة الزبداني، ويصب في بحيرة بردى شمال شرق دمشق: ينظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م): معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط ٣، عالم الكتب (بيروت، ١٩٨٣م)، ج ١، ص ٢٤٠؛ شيخ الربوة، شمس الدين ابو عبد الله محمد الانصاري الدمشقي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٧٠م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار احياء تراث العربي (بيروت، ١٩٩٨م)، ص ١٩٤ .
- (٢٢) البكري، معجم ما أستعجم، ج ١، ص ٢٤٠؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ٧٩ .
- (٢٣) القزويني، زكريا بن محمد بن محمد (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت، ٢٠١٠م)، ص ١٤٢ .
- (٢٤) الحجاز: هو أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية الجغرافية، ويقع في الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية، والحجاز تعني الحاجز وهو الحد الفاصل كونها تحجز اليمن عن بلاد الشام: ينظر: المقدسي،



- شمس الدين بن أحمد ابو عبد الله الشامي (ت ٣٨١هـ / ٩١١م): أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي ( القاهرة، ١٩٩١م)، ص٦٩؛ ناصر خسرو، سفر نامه، ص١٢٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢١٨-٢١٩ .
- ( ٢٥ ) اليمامة: إقليم يقع في الجزيرة العربية جنوب نجد، من اسمائها، العروض، والخضرة، وبعدها سميت باليمامة نسبة لاسم الزرقاء بنت سهم بن طسم ذات اليمامة التي سميت بهذا الاسم لحدّة بصرها: ينظر: الهمداني الحسن ابن أحمد بن يعقوب بن يوسف (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م): صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل (لیدن، ١٨٨٤م)، ص١٦١؛ ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥هـ / ٩٥٧م): مختصر كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب (بيروت، ١٩٩٦م)، ص٨٦.
- ( ٢٦ ) عُمان: مضمومة الأول مخففة الميم، كورة على ساحل بحر اليمن في شرقي هجر، سميت عمان لان اول من اختطها، عمان بن سنان بن إبراهيم الخليل (عليه السلام): ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٥٠؛ الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م): الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة (بيروت، ١٩٨٠م)، ص٤١٢ .
- ( ٢٧ ) هَجْر: وهي عاصمة إقليم البحرين، واسم للمنطقة التي تمتد من البصرة إلى سلطنة عُمان، وحاليا هي منطقة الاحساء في المملكة العربية السعودية: ينظر: البكري، معجم ما أستعجم، ج٣، ص١٣٤٦؛ كرد علي، خطط الشام، ج٤ ص٢٣٩.
- ( ٢٨ ) أحسن التقاسيم، ص١٧٨.
- ( ٢٩ ) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ / ١٠٨٥م): الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة (الكويت، ١٩٨٩م)، ص٢٧٦ .
- ( ٣٠ ) أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م): نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: مفيد قميحة وآخرون، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٤م)، ج٨، ص١٨٧.
- ( ٣١ ) عبد السلام، جغرافية سورية، ص١٢٤-١٢٥.
- ( ٣٢ ) الحروب الصليبية: هذه المصطلحات لم تكن معروفة إلا بعد قرن ونصف منذ بدء الحملات الصليبية (٤٩٠هـ / ١٠٩٦م) على المدن الاسلامية، ففي المصادر الاسلامية عُرفت بحركة الفرنج او الفرنجة، والمصادر اللاتينية اطلقت عليها الحروب المقدسة، او الرحلات المقدسة، وحجاج بيت المقدس، واطلقها المؤرخون المتأخرون الحروب الصليبية The Crusades لأن الغزاة رفعوا شعار الصليب وحاربوا المسلمين باسمه: ينظر: عاجل، عباس، سمير صالح: الحروب الصليبية تطور المصطلح والمفهوم، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، مج ١٩، العدد ٤ ( بابل، ٢٠١١م)، ص ٦٨٥-٦٩٤ .
- ( ٣٣ ) السنسكريتية: هي إحدى أقدم اللغات في الهند، وهي لغة طقوسية للهندوسية، والبوذية، لها انتشار في الهند وجنوب شرق آسيا مشابهة للغة اللاتينية واليونانية في أوروبا في القرون الوسطى: ينظر: الحفار، نبيل: اللغة والأدب، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر (الرياض، ٢٠٠٧م)، مج ١١، ص١٧٦.



- ( ٣٤ ) العبادي، أحمد مختار: من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية، عالم الفكر (الكويت، ١٩٨٥م)، مج ١١، ص ١٥٠ .
- ( ٣٥ ) القند: فارسي معرب، وهو عصارة القصب اذا جمد: ينظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م): المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي (بيروت، ١٩٩٦م)، ج ١، ص ٤٤٤ .
- ( ٣٦ ) المِضْر: هو الشئ الغض الطري، تقول العرب: خُذ الشَّيءَ خِضْرًا مِضْرًا، أي: غَضًّا طريًّا، والغض: هو الريان والكثير العصير: ينظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (بيروت، ١٩٧٩م)، ج ٤، ص ٣٨٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١١٢، ج ٥، ص ٢٤٧ .
- ( ٣٧ ) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٩١ .
- ( ٣٨ ) الطوب: الأجر الاحمر المحروق من الطين: ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٤، ص ٣٠ .
- ( ٣٩ ) النويري، نهاية الارب، ج ٨، ص ٢٦٤ - ٢٦٧ .
- ( ٤٠ ) حتي، فليب: العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٩١م)، ج ٤، ص ٤٢؛ فالج حسين: الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الاموي، مطابع دار الشعب (عمان، ١٩٧٨م)، ص ١٠٦ .
- ( ٤١ ) لومبارد، موريس: الاسلام في عظمته الاولى، ترجمة: يوسف شريم، المكتبة العلمية (باريس، ١٩٧١م)، ص ١٩٥ .
- ( ٤٢ ) متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريده، دار الكتاب العربي (بيروت، د.ت)، مج ٢، ص ٣٠٢ .
- ( ٤٣ ) العُور: الفتح ثم السكون، تعني الأرض الهابطة، او المنخفضة، وهي تسمية للمنطقة المنخفضة جنوب بلاد الشام، بين بيت المقدس ودمشق (الاردن حاليا) وهي ذات قرى وفيها عيون وبساتين كثيرة: ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢١٦-٢١٧؛ أبو الزُّب، هاني: تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، بيت المقدس (رام الله، ٢٠٠٢م)، ص ٢١ .
- ( ٤٤ ) الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٩م): المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة (القاهرة، د.ت)، ص ٦١ .
- ( ٤٥ ) طبرية : أو طبريا مدينة في الغور على الشاطئ الغربي للبحيرة المعروفة باسمها، وهي مدينة عربية كنعانية، وطبرية نسبة إلى الإمبراطور الروماني طيباريوس، الذي بناها سنة (٢٦م) وفتحها المسلمون سنة (١٣هـ / ٦٣٤م): ينظر: الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر(ت ٦١١هـ / ١٢١٥م): الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ص ٢٦؛ جونز، أرنولد: مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة: إحسان عباس، دار الشرق (عمان، ١٩٧٧م)، ص ١٢، ص ١٩ .
- ( ٤٦ ) احسن التقاسيم، ص ١٦١ .
- ( ٤٧ ) معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠١ .

(٤٨) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٦٢؛ ابن الشحنة، القاضي ابو الفضل محمد الحنفي (ت ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م): الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم: عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي (دمشق، ١٩٨٤م)، ص ٢٦٣ .

(49) Goitein, S.D: Mediterranean Society, The Communities of the Arab World as portrayed in Document of the Cairo Geniza, Economic foundation (Los Angeles, 1967) P. 80 .

(٥٠) الفاطميون: يرجع نسب الفاطميون إلى عبيد الله المهدي بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وزوجته فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) ولم يتفق المؤرخون على صحة هذا النسب، وينفون نسبهم لآل النبي (صلى الله عليه وسلم) ويقولون أن عبيد الله المهدي اسمه سعيد، وكان زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح، وسواء صحَّ انتساب الفاطميين إلى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء (رضي الله عنهما) أو كان ادعاءً، فإنه كان الدعامة الأساس التي اعتمد عليها الفاطميون في إقامة دولتهم في المغرب، ثم في مصر والشام (٢٩٧هـ - ٥٦٧هـ / ٩١٠م - ١١٧١م): ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٩٩٧م)، ج ٦، ص ٥٧٧-٥٧٩؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت، د. ت)، ج ٣، ص ١١٧-١٢٠؛ المقرئ، تقي الدين العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (٨٤٥ هـ / ١٤٤١م): اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط ٢، وزارة الأوقاف (مصر، ١٩٩٦م)، ج ١، ص ٢٣-٢٩.

(51) Goitein, Mediterranean Society, P.81 .

(٥٢) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢١٥؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٨م)، ج ٢، ص ٤٢٤ .

(٥٣) معجم البدان، ج ١، ص ٢٠١ .

(٥٤) حتي: تاريخ لبنان، تحقيق: أنيس فريحة، دار الثقافة للطباعة والنشر (د. م، ١٩٥٩م)، ص ٤١٤ .

(٥٥) النويري، نهاية الأرب، ج ٨، ص ٢٦٧ .

(٥٦) نهاية الأرب، ج ٨، ص ٢٧٢ .

(٥٧) البديري، نزهة الإنام، ص ٢١٢-٢١٣ .

(٥٨) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر (بيروت، د. ت)، ج ٣، ص ٢٢ .

(٥٩) ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو ابن غرامة العمري، دار الفكر (د. م، ١٩٩٥م)، مج ٢، ج ١، ص ٦٦ .

(٦٠) كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ١٩١ .

(٦١) كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ١٩٢ .



- ( ٦٢ ) لومبارد، الاسلام، ص ١٩٩ .
- ( ٦٣ ) الكشك: كلمة فارسية معربة، وتعني طعام يصنع من الدقيق واللبن ويجفف حتى يطبخ متى احتيج إليه: ينظر: مصطفى، ابراهيم، وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة ( القاهرة، د. ت)، ج ٢، ص ٧٨٩؛ كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ١٥٨ .
- ( ٦٤ ) كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ١٥٩ .
- ( ٦٥ ) الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٧، ص ٣١٧؛ القاسمي، محمد سعيد، وآخرون: قاموس الصناعات الشامية، تحقيق وتقديم: ظاهر القاسمي، دار طلاس للدراسات والنشر (دمشق، ١٩٨٨م)، ج ٢، ص ٣٨٨ .
- ( ٦٦ ) الرطل: ويساوي ١/٨ كغم، في دمشق: ينظر: هنتس، فالتر: المكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية ( عمان، ١٩٧٠م)، ص ٣٣ .
- ( ٦٧ ) كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ١٩٠ .
- ( ٦٨ ) كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ١٩٠ .
- ( ٦٩ ) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٢٠٧ .
- ( ٧٠ ) العُروك: جمع عَرَكَ بالتحريك، هم الذين يصيدون السمك، يلقون الخشب في البحر ويركبون عليه، ويلقون شباكهم: ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٤٦٧ .
- ( ٧١ ) ابن فضل الله شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الامصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، المجمع الثقافي (ابو ظبي، ٢٠٠٢م)، ج ١، ص ٨٠- ص ٨٩ .
- ( ٧٢ ) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٢ - ١١٦٤ .
- ( ٧٣ ) موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي (ت ٦٢٩هـ / ١٢٩٢م): الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مطبعة وادي النيل (القاهرة، ١٨٦٩م)، ص ٢٢ .
- ( ٧٤ ) خليفة، سيد محمود: تاريخ المنسوجات، مطبعة نهضة مصر (القاهرة، ١٩٦١م)، ص ٩٠ .
- ( ٧٥ ) الحموي، محمد ياسين: دمشق في العصر الأيوبي، مكتبة النشر العربي (د. م، ١٩٤٦م)، ص ٤٥ .
- ( ٧٦ ) الدقاق: هو الذي يدق الثياب بعد نسجها ليزيل عنها ما علق بها من شعر أو خيط، فيكتسب الثوب نعومة ولمعاناً: ينظر: الغزي، كامل بن حسين بن محمد، نهر الذهب في تاريخ حلب، ط ٢، دار القلم ( حلب، ١٩٩٧م)، ج ٢، ص ٣٤٣ .
- ( ٧٧ ) القصار: هو الذي يأخذ الثياب بعد دقها ويتولى قصرها من الدهون والبقع، فتكون ناصعة البياض: ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٢٦؛ الخزاعي، تخريج الدلالات، ص ٧١٦ .
- ( ٧٨ ) المكبس: الجمع مكابس، معصرة أو مدك، يكبس بها القماش: ينظر: دوزي، رينهارت بيتر أن: تكملة المعاجم العربية، ترجمة وتعليق: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام (العراق، ٢٠٠٠م)، ج ٩، ص ٢٩ .
- ( ٧٩ ) صفوح، خير: مدينة دمشق، منشورات وزارة الثقافة والسياحة (دمشق، ١٩٦٩م)، ص ٣٤٨ .
- ( ٨٠ ) كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ٢٠٧ .

- ( ٨١ ) كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص٢٠٨ .
- (82) Goitein, Mediterranean Society, p.102- 103 .
- ( ٨٣ ) الشفق: بفتح الشين والفاء، الثوب المصبوغ بالحمرة، لأنه يشبه بقية ضوء الشمس وحمرتها في اول الليل: ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص١٨٠ .
- ( ٨٤ ) الأناضول: كلمة يونانية معربة تعني: الشرق أو مشرق الشمس، وتسمى أيضاً آسيا الصغرى، هي شبه جزيرة جبلية في غرب آسيا على البحر الابيض المتوسط تشمل معظم الأراضي التركية، تحيط بها بحار؛ إيجة، ومرمرة، والبحر الأسود: ينظر: الغزي، نهر الذهب، ج٣، ص١١٠؛ آغا، شاهر جمال: الموسوعة العربية، مج ١٣، ص ٧٠٢ .
- ( ٨٥ ) خليفة، تاريخ المنسوجات، ص٩٧- ١٩٨ .
- ( ٨٦ ) الاطلس: كلمة فارسية الاصل تعني الحرير، وهو ثوب منسوج من الحرير يمتاز بلمعان احد وجهيه: ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص١٩٩؛ ادشير: الألفاظ الفارسية المعربة، ط٢، دار العرب (القاهرة، ١٩٨٨م)، ص ١١٠ .
- ( ٨٧ ) ابن العديم، بغية الطب ، ج٣، ص٢٨٠ .
- ( ٨٨ ) نزهة الانام، ص٢٢٠ .
- ( ٨٩ ) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص٥٩٦ .
- ( ٩٠ ) المختار، فريك داود: المنسوجات العراقية الاسلامية من الفتح الى سقوط الخلافة العباسية ببغداد، وزارة الاعلام (بغداد، ١٩٧٦م)، ص ١٤ .
- ( ٩١ ) الكَمَر: من الكَمَر بالتحريك، كلمة فارسية معربة تعني الخصر، نطاق، وحزام، تسللت الى العربية وصارت تعني: حزام من الصوف او الجلد او القطن: ينظر: ابن بطوطة، محمد ابن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الطنجي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٦٩م): الرحلة المسماة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) دار الشرق العربي (بيروت، ٢٠١٠م)، ج١، ص ٢٠٩؛ دسوقي، ابراهيم: المعجم الفارسي الكبير، مكتبة مديولي(القاهرة، ١٩٩٢م)، ج٢، ص ٢٢٧٦ .
- ( ٩٢ ) الوشاح: الجمع: وُشِحَ أو اوشحة، شيء من نسيج عريض يُرْصع بالجواهر، تشده المرأة بين عاتقها: ينظر: الجوهري، الصحاح، ج١، ص٤١٥ .
- ( ٩٣ ) كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص٢٢٠ .
- ( ٩٤ ) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٩ .
- ( ٩٥ ) المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٧م)، ج٣، ص٥٣٠ .
- ( ٩٦ ) كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص٢٢٠ .
- ( ٩٧ ) الوشاء، ابو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى(ت ٣٢٥هـ / ٩٣٦م): الموشى أو الظرف والظرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي (د.م، ١٩٥٣م)، ص١٦١- ص١٦٤ .
- ( ٩٨ ) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٨٠- ١٨٤ .



- ( ٩٩ ) الأرجوان: لفظ معرّب، وهو بالفارسية: أرغون، هو شجر لونه احمر احسن ما يكون، وكل لون يشبهه فهو أرجوان، واطلقت العرب على نوع من الاقمشة المقصبة بخيوط من الحرير والذهب: ينظر: إبراهيم، رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس ، تقديم: محمود فهمي، مراجعة: عبد الهادي التازي، دار الافاق العربية ( القاهرة، ٢٠٠٢م)، ص٢٩؛ هايد: تاريخ التجارة في الشرق الادنى، ترجمة: احمد محمد رضا، تقديم: الهيئة المصرية العامة للكتاب ( الاسكندرية، ١٩٥٨م)، ج٤، ص٢٠٥.
- ( ١٠٠ ) كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص٢٢١ .
- ( ١٠١ ) أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط٣، دار الشرق (بيروت، ١٩٩٢م)، ص٢٩ .
- ( ١٠٢ ) السّرج: رَجُل الدابة من جلد، يوضع على ظهرها ليجلس عليه الراكب، صانعه، وبائعها، حرفته السّراجة: ينظر: ابن سيده، المخصص، ج٢، ص ١١٠.
- ( ١٠٣ ) القرب: جمع قربة، من جلد او غيره ما يستقى فيه الماء واللبن: ينظر: الازهري، تهذيب اللغة، ج ١ ص٢٢٢ .
- ( ١٠٤ ) عاشور، سعيد عبد الفتاح: أضواء جديدة على الحروب الصليبية، دار القلم، (حلب، ١٩٦٤م)، ص٢٣١-٢٣٢ .
- ( ١٠٥ ) كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص٢٠٦؛ عاشور، أضواء جديدة، ص٢٣٢ .
- ( ١٠٦ ) الاسكافي: الأسكف والسكّاف والسكيف الخفّاف، اي صانع الخفّاف، وهي حرفة صانع الاحذية القديمة: ينظر: الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ( ت ٨١٧هـ / ١٤٠٨م): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص٨٢٠؛ القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج١، ص٣٨ .
- ( ١٠٧ ) كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص٢٠٧ .
- ( ١٠٨ ) الطباخ، محمد راغب: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (د. م، ١٩٢٣)، ج١، ص٢٣٦.
- ( ١٠٩ ) الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ١١٢ .
- ( ١١٠ ) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٣ .
- ( ١١١ ) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٨٧ .
- ( ١١٢ ) كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص٢٠٧ .
- ( ١١٣ ) كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص٢٠٨ .
- ( ١١٤ ) الزحواوي، عبد القادر: خانات دمشق، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مديرية الآثار العامة، مج ١٠ (دمشق، ١٩٦٠م)، ص ١١٩ .
- ( ١١٥ ) زغلول، عبد الحميد سعد: العمارة والفنون في دولة الاسلام، منشأة المعارف، (الاسكندرية، دت)، ص٨١.



- ( ١١٦ ) الدوري، عبد العزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة دار المعارف (بغداد، ١٩٤٨)، ص٩١؛ أمين، أحمد: ضحى الاسلام، ط٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، ١٩٦٢م)، ج١، ص٢٤٥.
- ( ١١٧ ) السَلّ: وهو نبات يخرج في مروج دمشق يعلو الذراع، يسمى الذي يقطعه من المروج بسَلّي يبيعه الى الحصري صانع الحصير و الى السَلّ صانع السلال: ينظر: ابن سيده، المخصص، ج٣، ص٢٢٤؛ القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج٢، ص٢٣٩ .
- ( ١١٨ ) القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج٢، ص٣٤٠ .
- ( ١١٩ ) الحميري، الروض المعطار، ص٣٨٥ .
- ( ١٢٠ ) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٦١-١٦٢؛ ابن الوردي، سراج الدين عمر البكري القرشي (ت٨٦١هـ/١٤٥٧م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: انور محمود زناطي، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، ٢٠٠٨م)، ص١٠٤ .